تفـــــريط

للدكتور محمد يوسف موسى

تفريط نحس به حيث تكون ، ونحس به حيث تلتفت حولك . تفريط من كل طبقة وفريق : طبقة الطلاب ، وطبقة الشيوخ والأساتذة ، وطبقة السادة رجال الإدارة والرياسة. تفريط من كل هؤلاء وأولئك ، إلا من عصم الله وهم قليل نادر . ولولا ذلك ، لصار الأزهر منذ أزمان وأزمان تاريخا من التاريخ ، ولصار يتحدث عنه كما يتحدث عن كائن طالت به الحياة ، وأثر فيها وتأثر بها ، ثم صار أثرا بعد عين وعظة في الحاضر والمستقبل !

نعم ! ذلك حال الأزهر اليوم ، وقد نشأ أول أمره مقرا للدعاية لمذهب ودولة ، ثم — لفرط حيويته — تمرد على ما أريد به وله ، فصار منارة عامة ترسل أشعتها هنا وهناك في أرجاء العالم الإسلامي ثم تقدم به الزمن فصار، فترة طويلة من التاريخ ، المعين الوحيد للمعرفة والعلم ، وصاحب الأثر الكبير في تصريف شؤون البلد والقول الفصل في المشاكل التي تجد. وكان من رجالاته من عرف التاريخ لهم فضلهم ، إذ عرفوا لأنفسهم كرامتهم وللعلم حقه ، حتى كان منهم من رفض أن يمد يده لصاحب السلطان، بعد أن لم يرحرجا في أن يمد بحضرته رجله ! ثم مرت أزمان ، وجاءت أزمان ، وإذا بالأزهر لا يلتمس رأيه فيما يجب أن يكون له الرأي فيه ، حتى لقد غدا كما يقول الشاعر :

ويقضي الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

وأحب قبل الكلام الجاد فيما أنا بسبيله ، أن أسارع فأطمئن المشفقين من الأبناء الأوفياء والزملاء الأفاضل ، هؤلاء وأولئك الذين يخافون على عقبي صراحتي في زمن يتهم فيه كل صريح ، أنني ، علم الله ، لا أقصد بحديثي هذا رجال عهد معين قرب أو بعيد ، إنما أعني الأزهر ورجاله في هذا العهد الذي نعيش فيه منذ سنوات وسنوات . وأنسب بالذي يتقص إخلاصه لقضيته الأستاذ الأكبر عن أشد الناس حباً له واتصالا به . غير أني صريح بحكم منبتي وطبيعتي، وحديث عهد ببلاد تصدع بالحق متى عدبت له ، وأشعر في قوة بما علي وعلى أمثالي من تبعات الأزهر في حاضره ومستقبله ، تبعات لا يفتأ الإخوان يذكروننا بها في كل مناسبة .

فليهدأ، إذاً ، بالاً الأبناء والإخوان المشفقون، فالله متم أمره ، ولن يقف حذر دون قدر . ولست بما أقول ، اليوم أو بعد اليوم ، إلا في مقام الناصح الأمين. وليس مثلي — وقد جاوز مثلي خمسين — بأقل من أن ينصح بما يراه حقا ، وليس إنسان مهما علا قدره بأكبر من أن يتقبل الرأي الحق يتقدم به ناصح أمين .

* * *

١ — لطلاب الأزهر في الكليات والمعاهد مطالب يضربون من أجلها عن الدروس فترة طويلة كل عام ، ويلحون في سبيل تحقيقها ملتمسين كل مايزون من سبل ووسائل . وهم جميعا لا يكلف أحدهم نفسه النظر فيما يطلبون : أحق كله ؟ أو يلتبس فيه الحق بالباطل ؟ وهل رائدهم الإخلاص فيما يرجون ؟ أو هي أصابع الفتنة تدفع بهم في غير الطريق السوي ؟

ويحاول هؤلاء الطلاب المساكين التماس عون أساتذتهم وشيوخهم فلا يجدون منهم إلا ازورارا وإعراضا ، لأنهم يخافون التهمة بتحريك الطلاب ، أو لأنهم لا يعرفون كيف يوجهونهم سواء السبيل . والمشيخة من ذلك في شيء من الحيرة والكرب؛ لا تقدم إلا إذا اشتد الخطب ، ولا تفور إلا تحت الضغط .

ولو كانت الأمور تجري عندنا في الأزهر على استقامة ، لكان يسيرا كل اليسر على أولي الشأن في الكليات تعرف ما فيه الخير للطلاب في ثقافتهم ومستقبلهم ، والأهداف التي يجب أن يعدوا

منها وإلى النهاية .

أن الأقدار تأتي بها مرة واحدة في حياة الشعوب والقادة ولن تتكرر مرة أخرى فمن العبث التردد والوقوف والتراجع إزاءها لأنها تخضع للمثل اللاتيني القائل .

Audaces Fortuna juvat

ان الحظ يبتسم دائما لأصحاب القلوب الجريئة والنزائع الصادقة

أحمد زكي

مراقب عام مصلحة التشريع التجاري والملكية الصناعية

الإعداد الطيب لبلوغها ، ووسائل تحقيق هذه الأهداف. وحينئذ لا يكون الطلاب ما يشكون منه ، وما يضربون عن دروسهم من أجله .

ولو كانت الأمور تجرى عندنا فى الأزهر على استقامة ، من الطلاب والأساتذة وأولى الأمر ، لكان للكليات « اتحاد » كاتحاد الكليات فى الجامعة ، ولكان هذا الاتحاد وسيط خير بين الطلاب والمشيخة ، ولكان وسيلة يمرن بها الطلاب على المشاركة فى إدارة شئونهم ، وعلى المسئولية والاضطلاع بها . ولكن كيف السبيل إلى تكوين مثل هذا « الاتحاد » ، ومن إليهم الأمر يظنون كل صيحة عليهم ، ويرون فى تكوين هذا « الاتحاد » بدء ثورة وانقلاب ؟! ثم كيف السبيل إلى مثل هذا « الاتحاد » ، ومن الشيوخ من يستحل اتخاذ الطلاب الأبرياء وسيلة لقضاء حاجة أو حاجات فى نفوسهم ! ومن أجل هذا يزور المدرسون عن الطلاب ، فلا يرى الطلاب — وقد حرموا التوجيه الصالح — إلا أن يصدروا عن عقولهم التى تنقصها الإحاطة بالأمور ، وعن خبرتهم وتجاربهم وهى ناقصة ، وعن مطالبهم الخاصة دون رعاية للحق أو للصالح العام فى نفسه .

٢ — وبعد الطلاب ، الذين شغلتهم الامتحانات والاستعداد لها عن مطالبهم ، جاء بكل أسف دور المدرسين والأساتذة .

نعم ! ها هى ذى المعركة حامية الوطيس بين فريق المدرسين فى المعاهد والكليات ، المعركة التى استعمل فيها كل سلاح وإن رغم الحق ! المعركة التى وصل أمرها للصحف والديوان الملكى وللبرلمان أخيرا كل فريق يدافع — على طريقته — عن حقه وكيانه ومستقبله ، ويرى كل الوسائل مشروعة ما دامت تحقق الغاية أو تدنى منها. وفيما بين هؤلاء وأولئك تضيع كرامة الأزهر ، وتتزلزل سمعته فى مصر والعالم الإسلامى كله .

ولو كانت الأمور تجرى فى الأزهر على ما ينبغى من عدل واستقامة لصدر منذ طويل « كادر التدريس » حين صدر القانون بإنشاء الكليات . وإذاً ، لعرف كل من أعضاء هيئة التدريس حقه ، ولوضع فى موضعه الذى تؤهله له دراسته وكفايته ، ولما كان من الممكن أن تقوم هذه الخصومة العنيفة بين الإخوة الزملاء أبناء المعهد الواحد ، ولشغل الكل بالبحث والإنتاج العلمى الذى تخلفنا فيه حتى صرنا ساقة بعد أن كنا القادة .

ذلك ما كان يجب أن يكون ، لولا اشتغال الرؤساء بالحاضر ، يصرفون مسائله فى ارتجال ، عن المستقبل — حتى القريب منه — يمدون له بالابد منه من عدة ووسائل . ولله الأمر من قبل ومن بعد !

٣ — وفى الأزهر اضطراب شديد أيضا فيما يتصل بعدم تركز السلطان وتصريف الأمور فى المسئولين وحدهم بحكم مناصبهم ، بل صار نصيب كبير من هذا إلى غير هؤلاء المسئولين ، فعظمت البلوى وعمت الشكوى .

ولو كانت الأمور تجرى عندنا على استقامة ، لأنشىء منذ زمن طويل مكتب فنى بالرياسة يكون لأعضائه من الثقافة والكفاية والروح الأزهرية والحب للصالح العام ، ما يجعلهم أهلا بحق لاقتراح المشروعات التى تفيد الأزهر ، ولبحث ما يحال إليهم من مشاكل ، ولتقديم المشورة الطيبة فيما يجد من أمور .

ولو كانت الأمور تسير عندنا على ما ينبغى ، لوضعت منذ طويل قواعد عامة للنقل للكليات ، ولكان من هذه القواعد ألا ينقل مدرس — مهما كانت درجته العلمية — من الثانوى لكلية من الكليات إلا إذا شهد له بالعلم والبحث مؤلفات منشورة

ولكن ؟ منع من هذا وذاك فيما مضى ، وربما يمنع منه أيضا هذه الأيام وفى المستقبل ، ما ركب فى النفس من حب الاستئثار بالبت فى كل أمر وبالاعطاء والمنع . ولعل الله ينظر للأزهر نظرة رحمة فيغير من هذا كله .

٤ — وقد نظر الله للأزهر فى بعض ما مر به من عهود ، فألهم القائم بأمره حين ذاك — وهو المغفور له الأستاذ الشيخ المراغى — أن يرسل بعوثا لأوربا يقبسون من علم الغربيين وطرائقهم فى البحث والدرس ! ومضى الزمن ، وعادت البعوث من فرنسا وألمانيا وانجلترا ، وانتظر الناس أن ينتقل الأزهر خطوة إلى الأمام ؛ وحق لهم أن ينتظروا فى ثقة واطمئنان. ولكن ، ها هو الزمن يمر ، وها هو الأزهر فى جملته يسير نفس سيرته قبل أن يكون له أعضاء بعثات جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب . نعم ! ها هو الأزهر لا يزال كما تعهد من قبل فى مناهجه وطرائق التدريس فيه وعدم غنائه فى علوم الدنيا والدين .